خُلُقُ الأبرار وشِيَمُ الأطهار

الحلقة (12)

العدل

من تجميع وتقديم / مكتبة خير أمة الإسلامية

خلق الأبرار وشيم الأطهار

الحلقة (١٢)

العدل

جمع وعداد / مكتبة خير أمة الإسلامية

سـرقت امرأة أثناء فتح مكة، وأراد الرسـول صلى اللَّه عليه وسلم أن يقيم عليها الحدَّ ويقطع يدها، فذهب أهلها إلى أسامة بن زيد وطلبوا منه أن يشفع لها عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم حتى لا يقطع يدها، وكان الرسول صلى اللَّه عليه وسلم يحب أسامة حبًا شديداً.

فلما تشـفع أسامة لتلك المرأة تغير وجه الرسول صلى اللَّه عليه وسلم، وقال له: (أتشفع في حد من حدود اللَّه؟!). ثم قام النبي صلى اللَّه عليه وسلم فخطب في الناس، وقال: (فإنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سـرق فيهم الشـريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم اللَّه (أداة قسم)، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها) [البخاري].

***

جاء رجل من أهل مصـر إلى عمر بن الخطاب –رضـي اللَّه عنه– وقال له: يا أمير المؤمنين، لقد تسابقتُ مع ابن عمرو بن العاص وإلى مصـر، فسـبقتُه فضـربني بسـوطه، وقال لي: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر بن الخطاب إلى

عمرو بن العاص: إذا أتاك كتابي هذا فلتحضـر إلى ومعك ابنك، فلما حضـرا أعطى عمر بن الخطاب السـوط للرجل المصري ليضرب ابن عمرو قائلا له: اضرب ابن الأكرمين.

***

في عهد عمر بن الخطاب –رضي اللَّه عنه– أسلم رجل من سادة العرب، وذهب للحج، وبينما كان يطوف حول الكعبة، داس رجل على طرف ردائه، فضـربه على وجهه ضـربة شديدة، فذهب الرجل إلى عمر بن الخطاب، واشـتكى له، فطلب عمر –رضـي اللَّه عنه– إحضـار الضـارب، فلما حضر أمر عمر الرجل أن يقتص منه بأن يضـربه على وجهه مثلما فعل معه، فقال متعجبًا: وهل أستوي أنا وهو في ذلك؟ فقال عمر: نعم، الإسلام سوَّى بينكما.

***

يحكى أن رجلا اصـطاد سـمكة كبيرة، ففرح بها، وفي طريق عودته إلى زوجته وأولاده، قابله حاكم المدينة، ونظر إلى السمكة التي معه، فأخذها منه، فحزن الصياد، ورفع يديه إلى السماء شاكيا للَّه –عز وجل–، طالبًا منه أن يريه جزاء هذا الظالم.

ورجع الحاكم إلى قصـره، وبينما هو يعطي السـمكة للخادم لكي يُعِدَّها له، إذا بالسـمكة تعضه في إصبعه، فصـرخ وشعر بألم شديد، فأحضروا له الأطباء، فأخبروه أن إصبعه قد أصابه السم من عضة السمكة، ويجب قطعه فوراً حتى لا ينتقل السـم إلى ذراعه، وبعد أن قطع الأطباء إصـبعه، أحس أن السم ينتقل إلى ذراعه ومنه إلى بقية جسـده، فتذكر ظلمه للصـياد، وبحث عنه، وعندما وجده ذهب إليه مسـرعًا يطلب منه أن يسامحه ويعفو عنه حتى يشفيه اللَّه، فعفا عنه.

***

ذات يوم، اختلف الإمام على –رضـي اللَّه عنه– مع يهودي في درع (يُلبس كالرداء على الصـدر في الحروب)، فذهبا إلى القاضـي، وقال الإمام علي: إن هذا اليهودي أخذ درْعِي، وأنكر اليهودي ذلك، فقال القاضـي للإمام علي: هل معك من شـهود؟ فقال الإمام علي: نعم، وأحضـر ولده الحسين، فشهد الحسين بأن هذا الدرع هو درع أبيه. لكن القاضي قال للإمام علي: هل معك شاهد آخر؟

فقال الإمام علي: لا.

فحكم القاضـي بأن الدرع لليهودي؛ لأن الإمام عليا لم يكن معه من الشـهود غير ولده. فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى على أمير المؤمنين ورضى. صدقتَ واللَّه يا أمير المؤمنين.. إنها لدرعك سقطتْ عن جمل لك التقطتُها؛ أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه. فأعطاه الإمام على الدرع فرحًا بإسلامه.

***

ما هو العدل؟

العدل هو الإنصـاف، وإعطاء المرء ما له، وأخذ ما عليه. وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر بالعدل، وتحث عليه، وتدعو إلى التمسـك به، يقول تعالى: {إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى} [النحل: ٩٠]. ويقول تعالى: {وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل} [النسـاء: ٥٨]. والعدل اسـم من أسـماء اللَّه الحسنى وصفة من صفاته سبحانه.

أنواع الـعـدل:

للعدل أنواع كثيرة، منها:

العدل بين المتخاصـمين: كان صلى اللَّه عليه وسلم مثالا في تطبيق العدل، وقد جاء إليه رجلان من الأنصار يختصمان إليه، ويطلبان منه أن يحكم بينهما، فأخبرهما النبي صلى اللَّه عليه وسلم بأن مَنْ يأخذ حق أخيه، فإنما يأخذ قطعة من النار، فبكي الرجلان وتنازل كل واحد منهما عن حقه لأخيه.

العدل في الميزان والمكيال: المسلم يوفي الميزان والكيل، ويزن بالعدل، ولا ينقص الناس حقوقهم، ولا يكون من الذين يأخذون أكثر من حقهم إذا اشتروا، وينقصون الميزان والمكيال إذا باعـوا، وقـد توَّعـد اللَّه من يفعـل ذلك، فقـال اللَّه تعالى: {ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسـرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم} [المطففين: ١–٥]. وقال تعالى: {وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان} [الرحمن: ٩].

العدل بين الزوجات: والمسـلم يعدل مع زوجته فيعطيها حقوقها، وإذا كان له أكثر من زوجة فإنه يعدل بينهن في المأكل والمشـرب والملبس والمسكن والمبيت والنفقة، قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل) [أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه].

والميل الذي حذر منه هذا الحديث هو الجور على حقوقها، ولهذا روي أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم كان يقسم بين زوجاته -رضوان اللَّه عليهن- بالعدل، ويقول: (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك).

[أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه].

العدل بين الأبناء: فالمسلم يسوِّي بين أولاده حتى في القُبْلَة، فلا يُفَضِّل بعضهم بهدية أو عطاء؛ حتى لا يكره بعضهم بعضًا، وحتى لا تُوقَد بينهم نار العداوة والبغضاء.

يقول النعمان بن بشير: أعطاني أبي عطيةً، فقالت عمرة بنت رواحة (أم النعمان): لا أرضى حتى تُشْهِدَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فأتى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فقال: إني أعطيتُ ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول اللَّه. فقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (أعطيتَ سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا. قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (فاتقوا اللَّه واعدلوا بين أولادكم) [البخاري].

العدل مع كل الناس: المسلم مطالب بأن يعدل مع جميع الناس سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، فاللَّه يأمر بعدم إنقاص الناس حقوقهم، قال تعالى: {ولا تبخسوا الناس أشيائهم} [الشعراء: ١٣٨].

وقال تعالى: {ولا يجرمنكم شنأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى} [المائدة: ٨] أي: لا تحملكم عداوتكم وخصومتكم لقوم على ظلمهم، بل يجب العدل مع الجميع سواء أكانوا أصدقاء أم أعداء.

فضل العدل:

* العدل له منزلة عظيمة عند اللَّه، قال تعالى: {وأقسطوا إن اللَّه يحب المقسطين} [الحجرات: ٩]. وكان الصحابي الجليل أبو هريرة -رضي اللَّه عنه- يقول: عمل الإمام العادل في رعيته يومًا أفضل من عبادة العابد في أهله مائة سنة.

* العدل أمان للإنسان في الدنيا، وقد حُكي أن أحد رسل الملوك جاء لمقابلة

عمر بن الخطاب، فوجده نائمًا تحت شجرة، فتعجب؛ إذ كيف ينام حاكم المسلمين دون حَرَسٍ، وقال: حكمتَ فعدلتَ فأمنتَ فنمتَ يا عمر.

* العدل أساس الملك، فقد كتب أحد الولاة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز

-رضي اللَّه عنه- يطلب منه مالاً كثيرًا ليبني سورًا حول عاصمة الولاية. فقال له عمر: ماذا تنفع الأسوار؟ حصنها بالعدل، ونَقِّ طرقها من الظلم.

* العدل يوفر الأمان للضعيف والفقير، ويُشْعره بالعزة والفخر.

* العدل يشيع الحب بين الناس، وبين الحاكم والمحكوم.

* العدل يمنع الظالم عن ظلمه، والطماع عن جشعه، ويحمي الحقوق والأملاك والأعراض.

الظلم:

حذَّر اللَّه –تعالى– من الظلم، فقال عز وجل: {ولا تحسبن اللَّه غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص في الأبصار} [إبراهيم: ٤٢].

وقال تعالى: {فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم} [_الزخرف: ٦٥].

وقال تعالى: {ألا لعنة اللَّه على الظالمين} [_هود: ١٨].

وقد حذرنا النبي صلى اللَّه عليه وسلم أيضًا من الظلم، فقال: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) [مسلم]، وقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر) [البيهقي].

وقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) [البخاري].

أنواع الظلم:

ظلم الإنسان لربه: وذلك بألا يؤمن الإنسان بخالقه ويكفر باللَّه –عز وجل– وقد جعل اللَّه الشرك به – سبحانه – من أعظم الظلم، فقال: {لا تشرك باللَّه إن الشرك لظلم عظيم} [لقمان: ١٣].

ظلم الإنسان للإنسان: وذلك بأن يعتدي الظالم على الناس في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم، فشتم المسلمين ظلم، وأخذ أموالهم ظلم، والاعتداء عليهم ظلم، والمسلم بعيد عن كل هذا.

ظلم الإنسان لنفسه: وذلك بارتكاب المعاصي والآثام، والبعد عن طريق

اللَّه –سبحانه– واتباع طريق الشيطان.

جزاء الظلم:

ذات يوم سأل الرسول صلى اللَّه عليه وسلم أصحابه، فقال: (أتدرون ما المفلس؟)، قالوا: الْمُفْلِسُ فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعْطَي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيتْ حسناته قبل أن يقْضِي ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار) [مسلم والترمذي].

وقد حث النبي صلى اللَّه عليه وسلم على أداء الحقوق إلى أصحابها، قبل أن يأتي يوم القيامة فيحاسبهم اللَّه على ظلمهم، قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (لَتُؤَدَّن الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقَاد (يُقْتَص) للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) [مسلم].

فكل مخلوق سوف يأخذ حقه يوم القيامة، حتى النعجة التي ليس لها قرون (جلحاء) إذا ضربتْها في الدنيا نعجة ذات قرون (قرناء)، فإن الأولى سوف تقتص وتأخذ حقها من الثانية، وقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (من ظلم قيد شبر من الأرض، طُوِّقَه من سبع أرضين) [متفق عليه].

فكل إنسان يظلم ويأخذ ما ليس حقًّا له فسوف يكون عليه وبالا في الآخرة، وسوف يعذَّب يوم القيامة عقابًا له على ظلمه في الدنيا، يقول النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (إن اللَّه لَيمْلِي للظالم (أي: يؤخر عقابه)، حتى إذا أخذه لم يفْلته)

[متفق عليه]، ثم قرأ: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد} [هود: ١٠٢].

وقال صلى اللَّه عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة: (يا عبادي، إني حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلتُه بينكم محرَّمًا فلا تَظَالموا) [مسلم].

فعلى المسلم أن يبتعد عن الظلم، ولا يعين الظالمين، وليتذكر دائمًا قول الشاعر:

لا تظـــلمنَّ إذا مــا كنــتَ مُقْتَـــدِرًا

فالظلــم ترجــع عُقْبَاهُ إلى الــنَّـــــدَمِ

تنــام عيــناك والمظلوم مُنْتَبِـــــــهٌ

يــدعو عليــك وعَيــنُ اللَّه لم تَــنَـــمِ